الأفعال الكلاميّة في الحوارات الأسريّة القرآنية (مقاربة تداولية)

د. عـزّة معاوي عمر الشّيباني ـ كلية الآداب واللغات ـ جامعة طرابلس

Verbs of Speech in Qur'anic Family Dialogues (A Deliberative Approach)

Abstract

The study of speech acts in Qur'anic family dialogues reveals the depth of the aspect in the text of the Holy Qur'an and highlights the sensitivity of discourse within the context of intricate human relationships. The Holy Qur'an serves as a rich model for this type of communicative acts, reflecting various patterns of interaction amongst family members—such as commands, prohibitions, expressions of emotion, interrogatives, and more. Such examples include the dialogues of Noah with his son, Abraham with his father, Jacob with his sons, and Joseph with his brothers. The Qur'anic dialogue is characterized by being concise, precise, and meticulous when it comes to word choice. This makes it well-suited for detailed pragmatic analysis that uncovers the connection between language and the social context in which it occurs, both in terms of style and communicative impact. This study aims to analyze the speech acts found in Qur'anic family dialogues from a pragmatic perspective that focuses on the speaker's intent, the context of the utterance, and its effect on the interlocutor.

القرآن الكريم مصدر غني بالخطاب الإلهي الذي يجمع بين الإخبار والإنشاء ويعكس نماذج حوارية متعددة تُظهر أساليب التواصل بين الله سبحانه وتعالى وبين البشر، ومن بين الظواهر اللغوية التي تميز بها القرآن الكريم الأفعال الكلامية التي تعد من أبرز الوسائل التعبيرية التي تعكس وظائف اللغة التواصلية، إذ تعبر عن مقاصد المتكلم، وتسهم في بناء المعاني السياقية والحوارية.

وفي سياق العلاقات الأسرية يُظهر القرآن الكريم عناية خاصة بتصوير الحوارات داخل الأسرة ويحظى بمكانة بارزة، كونه وسيلة من وسائل التواصل البشري، ويُعد أحد أهم أشكال الحوار التي تناولها النص القرآني، إذ يشكل أساس بناء

العلاقات داخل الأسرة الواحدة، مثل الحوارات بين: الآباء والأبناء، وبين الأزواج، وبين الإخوة، ويعكس القيم الدينية والاجتماعية في الخطاب القرآني.

وما يُميّز الحوار الأسريّ من الحوارات الأخرى أنّه ينشأ من مؤسّسة اجتماعيّة تخضع لسياقات وأعراف خاصّة بها، لذلك من الممكن ألاَّ نجد في الحوارات الأسريّة كثيرًا من الأفعال المستعملة في مقامات أخرى، وتكمن أهمية دراسة الأفعال الكلامية في هذه الحوارات في الكشف عن البنية التواصلية التي يستثمرها النص القرآني لبناء نماذج سلوكية وفكرية، توجه السلوك الإنساني وتؤسس لمفاهيم الحوار الفعّال في المحيط الأسري.

من هنا تنطلق هذه الدراسة الدلالية؛ لتسبر أغوار الأفعال الكلامية في الحوارات الأسرية القرآنية، بهدف الوقوف على أنماطها، ووظائفها، وتحليل مقاصدها، واستجلاء أثرها في بناء المعنى داخل السياق الأسري، من خلال منهج علمي يجمع بين التحليل اللغوي والدلالة السياقية في ضوء النظريات اللسانية الحديثة، ولا سيما نظرية الأفعال الكلامية التي ظهرت على يد الفيلسوف جون أوستن وتبعه الفيلسوف جون سيرل، ويقصد بها تلك الأفعال التي يُنجز بها الكلام فعلاً مثل: الأمر، والنهي، والاستفهام، والوعد، والنصيحة.

وقد اعتمدت في تقسيم الأفعال الكلامية على تقسيم سيرل؛ لأنّه يشمل الاستخدام الفعلي للغة بشكل أوسع:

أوّلاً – الأفعال التقريرية أو الإخباريّة:

تستند الأفعال التقديريّة الإخباريّة إلى تمثيل المعلومات والأحداث من العالم من خلال تعبيرات لفظيّة؛ مما يستدعي ضرورة تطابق هذه التعبيرات مع الواقع الذي تمثله؛ فإذا كانت متطابقة، فإنها تعتبر صادقة، أما إذا كانت مخالفة، فإنها تعتبر كاذبة.

والهدف من الأفعال الإخباريّة لا يقتصر على الوصف فحسب، بل تمتلك قوىً إنجازيه تختلف في شدّتها؛ لأنّها تعمل على تغيير ما في ذهن المتلقّي بناءً على معرفته بالمحتوى القضويّ للعبارة واعتقاده بها.

لقد تمَّ استخدام الأفعال الإخباريّة بشكل واسع في الحوارات الأسريّة لأغراض مختلفة بحسب السياق التواصليّ لكلّ حوار، فقد يكون الخبر ابتدائيًّا والغاية منه فائدة الخبر، وموجّهًا لمخاطب خالي الذهن منه[1] ، حيث يقوم المتكلّم بذكر محتوى قضوي لا يعلمه المخاطب، أو يعتقد بعدم علمه به، ويُشير المحتوى القضويّ إلى أمر مادي

يُدرك بالحواس، أو أمر معنويّ يُدرك بالعقل، وتعتبر هذه الوظيفة الإخباريّة هي الأصل في قائمة الوظائف التداوليّة لهذا النوع من الأفعال، ولا يعني خلو ذهن المخاطب عدم حدوث ردود أفعال متوقّعة أو غير متوقّعة, بل إنّ المتكلّم غالبًا ما يتوقع استجابة من المخاطب، مما يؤكّد أنّ للأفعال الإخبارية وظائف إنجازيّة تؤثر في المخاطب عاطفيًّا أو فكريًّا.

ومن الأمثلة على الأخبار الابتدائيّة في الحوارات الأسريّة ما ورد في حوار سيدنا يوسف مع أبيه يعقوب - عليهما السلام - في قوله - تعالى- : ﴿ **إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ**﴾ [يوسف: 4]، فعل الرؤيا الذي استخدمه سيدنا يوسف - عليه السلام - فعل بصيغة خبريّة، وهو إخبار ابتدائي يهدف إلى إبلاغ المخاطب بمحتوى قضوي لم يكن في ذهنه قبل النطق به، والغرض الإنجازيّ لهذا الفعل هو صدق القضيّة المعبّر عنها، بينما يشترط إخلاص الاعتقاد، ويتطلب تطابق الكلمات مع العالم، ولمّا كان العالم الخاص بهذا الإخبار غير محسوس، فإنّ الفعل يعتمد على العلاقة بين المتكلم والمخاطب ودرجة الثقة بينهما، بالإضافة إلى المعرفة الراسخة للمخاطب بحالة المتكلم، مما جعله يعتقد بصدق الإخبار، وهذا الاعتقاد هو الذي دفعه إلى المبادرة بالتأويل مع الإيمان بوقوعه في المستقبل، وما تحذير المتكلّم من قصّ الرؤيا على إخوته إلا دليل على ضرورة تحقّق التأويل؛ لأنّ المخاطب يعقوب - عليه السلام - هو نبيّ مُلهم يُمكّنه رؤية الحقيقة المستترة خلف هذا التعبير الاخباري.

وقد عمل المتكلّم على تعزيز المحتوى القضويّ للفعل الإخباري من خلال مجموعة من الصيغ والأدوات، منها بدء الخطاب بصيغة النداء[2] (يا أبتِ) لمن هو حاضر ومركز لتأكيد طلب حضور الذهن، ولبدء الحديث بما هو أقرب للقلوب وأكثر أنسًا للنفس، حيث تُقرّب النفوس وتُهيّئها لاستقبال الخطاب الموجّه إليها، ثم جاء بمؤكّد لفظيّ (إنّ) لتعزيز المعنى وتقويته، حتى وإن كان ابتدائيًّا، وهو بحسب علماء البلاغة لا يحتاج إلى تأكيد، بخلاف الخبرين الطلبي والإنكاري اللذين يتطلبان مؤكّدات تتناسب مع حالة المخاطب[3] وقد جاء التوكيد ليُظهر اهتمام المتكلم بمضمون القضيّة المعبّر عنها وليس لمراعاة حال المخاطب، كما استخدم المتكلّم الضمائر المُحيلة عليه في أربعة مواضع هي: (إنّي، ورأيتُ، ورأيتهم، ولي) لتأكيد ارتباط الرؤيا به دون غيره، ولهذا تمَّ تقديم شبه الجملة على عاملها في ﴿**رأيتُهُم لي ساجدينَ**﴾.

وقد يكون الفعل الإخباريّ معروفًا لدى المخاطب، وفي هذه الحالة لا يُؤدّي الوظيفة التقليدية للخبر كما في الأخبار الابتدائيّة بل يستخدم لأغراض أخرى يهدف إليها المتكلّم من خلال السياق المقاميّ وقرائنه، ومن هذه الأغراض التعريض والتعجّب والإنكار والتعظيم والتحقير، وهذه الأغراض أكثر من أن تُحصى لتعلّقها بالمقام الاستعماليّ [4]

ومن الأغراض التي تظهر في الحوارات الأسريّة (التعريض بالمخاطب)[5] كما يتجلى في الحوار بين هابيل وقابيل في قوله- تعالى- : ﴿**وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ**﴾ [المائدة: 27]، **فقول هابيل: (إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ)** لا يفهم منه تعريف المخاطب بشيء يجهله؛ لأنّ المخاطب قابيل ابن نبيّ، يدرك ضرورة تقوى الله سبحانه وتعالى وعدم تجاوز حدوده، ولم يكن تقديم القربان ناتجًا عن جهل، بل هو يعلم أنّ الحَكَم هو الله سبحانه، وأنّ حكمه قائم على معايير ثابتة لا محاباة فيها؛ لذا فإن الغرض من الفعل الإخباريّ هو التعريض بالمخاطب مع إنكار قوله: (لأقتلنّكَ)، حيث إن المتكلّم لا علاقة له بقبول القربان، إذ إن الأمر يعود إلى الله سبحانه وتعالى الذي يقبل الأعمال بناءً على التقوى فقط، وبالتالي، فإن الأولى بالمخاطب هو أن يحاسب ا نفسه أولاً، ويلتزم بأوامر الله ونواهيه قبل أن يُسلّط حسده وغضبه على أخيه ويصل به الأمر إلى القتل.

ومن المعروف أنّ الغرض من الإخباريّات هو صدق القضيّة المُعبَّر عنها، والقضيّة في هذا الفعل هي (أنّ تقوى الله سبحانه سبب لقبول الأعمال)، وهي معلومة للمخاطب؛ لذا يجب توجيه الغرض من صدق القضيّة نحو التعريض بالمخاطب، وهذا التوجيه مقصود من المتكلّم، أمّا شرط الإخلاص فهو متحقّق في هذا الفعل؛ لأنّ المتكلّم يعتقد بما يقول، وقد عمل على تأكيد القضيّة المعبّر عنها باستخدام أسلوب القصر بـ(إنّما) التي (تأتي لما يُذكر بعدها ونفيًا لما سواه)[6] ؛ أي: إنّها قصرت قبول الأعمال على التقوى من دون غيرها، وهذا يزيد من شّدة الغرض المتضمّن في القول ويعزز قوّة الخبر التقريريّة .

وإذا كان الهدف الخطابيّ هو الذي يُحدّد الوسائل المناسبة لتحقيق ذلك الهدف [7] فإنّ هابيل استخدم إستراتيجيّة التلميح؛ لأنّ هدفه هو التعريض وليس إصدار الأحكام المباشرة، فهو لم يُصرّح بنسبة التقوى إليه ونفيها عن أخيه بل اكتفى بالإشارة إلى ذلك

عن طريق ذكر القانون الإلهيّ العام، وترك إصدار الحكم للمخاطب نفسه، واستعمال هذا الأسلوب فيه من الحكمة والتهذيب الشيء الكثير؛ لأنّه يُعطي المخاطب الأمل ويحثّه على ضرورة الرجوع إلى تقوى الله سبحانه.

وقد يكون الهدف من الفعل الإخباريّ وضع مقدّمة أو علّة للأحداث والحوار اللاحق، كما يتجلى في حوار أخوة يوسف - عليه السلام - في قوله- تعالى- : ﴿ **إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ**﴾ [يوسف:8]، لم يكن الغرض المتكلّم من هذا الفعل إخبار المخاطبين بشيء يجهلونه؛ لأنّهم يشاركون المتكلّم في الاعتقاد بأنّ يوسف - عليه السلام - وأخاه مفضّلان عليهم، بل كان المقصود من هذا الإخبار أن يكون مقدمة وعلّة لكلّ أحداث المؤامرة وحوارات الكذب والخداع؛ بمعنى أن المتكلم لم يكن بحاجة لإثبات هذه المعلومة للمخاطبين، بل أراد أن يضمن تأييد جميع الإخوة ويزيل أي شك أو تردد لديهم، ليتمكن من تنفيذ اقتراحه عليهم دون اعتراض، وقد عبّر صاحب تفسير التحرير والتنوير إلى أهمية تقديم هذا الفعل الإخباري بقوله: "وإنّما جعلوا له الكلام السابق كالمقدّمة لتتأثّر نفوس السامعين، فإذا ألقي إليها المطلوب كانت سريعة الامتثال إليه، وهذا فنّ من صناعة الخطابة"[8] أو ما يسمى في اللسانيات الحديثة الاستراتيجية التضامنية.

وقد قام المتكلّم بصياغة لغويّة تعزز من قوّة الفعل الخبريّ الإنجازي؛ بما يتناسب مع السياق التخاطبي، مما يعكس كفاءة المتكلم لغويًا وتداوليًا؛ لأنّه عمد إلى استخدام ألفاظ وعبارات تتناسب مع السياق، مما يزيد من القوّة في بعض المواضع ويُضعفها في مواضع أخرى، وبالتالي يمكن تحقيق الغرض الإنجازي بدرجات متفاوتة حسب قصد المتكلّم [9]

ولم يتردد المتكلّم في استخدام وسائل تعزيز القوة، إذ استهلّ قوله بلام الابتداء المتّصلة بالمبتدأ التي أفادت توكيد مضمون الجملة وتحقيقها[10] ، كما ذكر يوسف - عليه السلام - باسمه دون ذكر أخيه؛ ليبين أنّه هو المقصد الرئيسي، وأنّ أخاه أقلّ أهميّة[11] ، مما أعطى الأخ صفة التبعيّة لفظًا ومعنى، وقد استخدم المتكلّم ضمائر الجمع في أربعة مواضع كإشارات مقاميّة للمتكلّم مع مجموعة الإخوة المخاطبين، وعزّز هذا الذكر الجمعي بكلمة (عصبة) التي تدلّ على "العشرة فصاعدًا، وقيل: إلى الأربعين، سُمّوا بذلك؛ لأنّهم جماعة تُعصب بهم الأمور ويستكفون النوائب"[12] فهو يُريد أن يُؤكّد حقّهم بحبّ الأب وقربه؛ لأنّهم الأكثر عددًا وقوّة، فالمتكلّم انطلاقًا من

حسده وبغضه ليوسف- عليه السلام - وأخيه يتعجّب من تفضيل القلّة الضعيفة على الكثرة القويّة، واعتبر أنّ هذا التفضيل خطأ واضحًا لا يمكن تجاهله، مما دفعه إلى الجرأة على اتهام أبيه النبي بالضلال، وهذا يُفصح عن ضعف في الدين وسوء في الخلق ونكرانًا للمعروف، ومثل هذا الكلام لا يجوز أن يصدر عن عامة الناس، فكيف إذا كان من أبناء نبيّ؟ والمقصود من الضلال هنا هو الخطأ في الأمور الدنيويّة لا العقائديّة (13)

إن الفعل الإخباري يحمل أهدافًا تأثيريّة تُضاف إلى وظيفته التقريريّة، حيث اهتم المتكلّم بصياغة لغويّة تتناسب مع مقصده، متوقعًا استخدام وسائل لغويّة غير تركيبيّة؛ مثل: النبر والتنغيم التي هي وسائل مهمة تزيد درجة قوّة التعبير، كما يمكن أن تشمل الوسائل المستخدمة عناصر خارج اللغة، مثل الحركات الجسدية وتعبيرات الوجه والعينين وغير ذلك (14)

ومن الأغراض الأخرى التي أفادتها الأفعال الإخباريّة التعليل والاستعطاف، كما يتضح في الحوار بين موسى وهارون - عليه السلام - في قوله – تعالى- : ﴿ **وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ**﴾ [الأعراف: 150]، هنا استخدم هارون فعلًا خبريًّا في قوله: (**ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي)** حيث كان الهدف منه تعليل موقفه واستعطاف المخاطب، والفعل الكلامي في هذه القولة مشحونة بدلالة غير الدلالة الحرفية (استضعفوني وكادوا يقتلوني) بل أراد المتكلم أن يوصل للمتلقي الاعتذار وطلب الشفقة والرحمة، وهذا لا يفهم من حرفية القولة بل يفهم تداوليا بما بين المتكلم والسامع من مبدأ التعاون، ويتحقق شرط الإخلاص في هذا الفعل، إذ يعبر المتكلّم عن اعتقاده بما يقول ويرغب في أن يشارك المخاطب هذا الاعتقاد، مما يعزز من اتّجاه المطابقة بين القول والواقع.

بدأ المتكلّم بأسلوب النداء مخصصًا الأم بالذكر، ليكون ذلك وسيلة فعالة ومؤثّرة لاستعطاف المخاطب من خلال إثارة الجانب النفسي والعاطفي لديه؛ "لأنّ ذكر الأمّ هنا أرقّ وأبلغ في الحنوّ والعطف"(15)، وهو استخدام للاستراتيجية التضامنية ؛ لأن استخدام ألفاظ مُحبّبة للمخاطب يُعد وسيلة ملائمة لاستمالة مشاعره وضمان تفاعله مع إرادة المتكلّم وهدفه من الخطاب.

ونظرًا لأنّ المتكلّم قد يتعرض للشكّ من قبل المخاطب، فقد ابتدأ فعله الإخباريّ بالتوكيد بـ(إنّ) لتعزيز الجانب التقريريّ للفعل مما يزيد من شدّة الغرض الإنجازي، ثمّ جاء بعبارات تحمل دلالات ضمنية تتطلب أفعالاً، حيث إن استضعاف القوم إيّاه لم يكن ليحدث لولا وجود مقدّمات تتمثّل في نصحه إيّاهم ثمّ إنكاره ورفضه صنيعهم، بالإضافة إلى ذلك كان العديد من قومه عازمين على عبادة العجل، ولم يبق مع هارون إلّا القلّة التي لا تستطيع دفع الأمر؛ لذلك استخدم قرينة لفظيّة تدل على قرب وقوع الفعل وهي الفعل (كاد) الذي يدل على قرب وقوع الفعل، ولا يُقال "إلّا لمن هو على حدّ الفعل كالداخل فيه، لازمان بينه بين دخوله فيه"[16] ، يظهر هذا الاستعمال خطورة الوضع الذي كان فيه هارون، وهو كذلك استخدم الاستراتيجية الإقناعية أو الحجاجية وقد ذكر القرآن الكريم في موضع آخر أنّ هارون نصح القوم لكنّهم لم يستجيبوا له، كما ورد في قوله – تعالى- : ﴿ **وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى**﴾ [طه: 90- 91] ، وتعتبر هذه قرينة تؤكّد التزام هارون بخلافة أخيه وثباته على العهد.

وقد يكون الهدف من الفعل الإخباري التلطّف أو التخفيف من حدة الموقف، كما يتضح في خطاب عزيز مصر في قوله تعالى: ﴿ **فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ**﴾ [يوسف: 28]، إن خطاب عزيز مصر لا يتناسب مع قبح الموقف، حيث إن غيرة الرجال على نسائهم من الطبائع البشريّة، وأي مخالفة لذلك تُعد انحرافًا عن هذه الطبائع، وصدور مثل هذا الخطاب من شخص ذو سلطة ونفوذ تجاه زوجته التي أرادت خيانته، وأُقيمت الحجة ضدها يدلّ على تلطّف ولين مقصود من المتكلم، إمّا بسبب قلة غيرته، أو لحبّه إيّاها فضعف عن تأنيبها، أو لأنّه كان حليمًا عاقلاً أراد إنهاء الأمر والتكتّم عليه[17] ، وبغض النظر عن سبب التلطف، فإنّ الفعل الإخباريّ دلّ على أنّ قصد المتكلّم التجاوز عن زوجته؛ لذا عمد إلى تعميم الأمر ونسبته إلى جمع النساء؛ ليجعل من الكيد فعلاً جماعيًّا تشترك فيه النساء.

ومن خلال البنية اللغويّة للفعل الإخباري يتضح أنّ المتكلّم كان على درجة عالية من الانفعال والتأثّر، حيث استعمل التوكيد في موضعين ووصف الكيد بالعظيم، وهذا الاستعمال يعكس الحالة النفسية للمتكلم، وليس الهدف منه دفع الشكّ أو الإنكار لدى المخاطب؛ لذلك يُستبعد أن يكون خطاب عزيز مصر دليلاً على قلّة غيرته، ويُؤيّد ذلك

خطابه اللاحق في قوله – تعالى- : ﴿ **يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ**﴾ [يوسف: 29].

كما يمكن استخدام الفعل الإخباريّ لدفع إنكار المخاطب كما يتضح في حوار نبيّ الله نوح - عليه السلام - مع ابنه في قوله - تعالى- : ﴿ **قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ** }[هود:43]، إن قول نوح - عليه السلام -: (لاَ عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللهِ إِلاَّ مَن رَّحِمَ) هو فعل إخباري يهدف إلى دفع إنكار الابن، فالابن الكافر يُنكر أن يكون الطوفان متعلّقًا بالإيمان والكفر، ويراه أمرًا طبيعيًّا يمكن النجاة منه باستخدام الأسباب الطبيعيّة المتمثّلة في صعود الجبال العالية، وقد يتضمن كلامه تلميحًا إلى نوح - عليه السلام - ومن معه، لكن نبيّ الله نوحًا - عليه السلام - يُؤكّد له أنّ الأمر يتعلّق بالإيمان بالله سبحانه وتعالى، وأنّ هذا الطوفان هو بأمر منه، وأنه لا رادّ لأمره إلا هو، واستعمال أسلوب القصر في صياغة الفعل الإخباريّ يُعدّ تعديلاً للقوّة الإنجازيّة، وزيادة لشدّة الغرض المتضمّن في القول، حيث يعد القصر أحد أساليب التوكيد، وقد أفاد تخصيص العصمة من الطوفان بالله سبحانه وتعالى ونفيها عن غيره، فالناجون هم المرحومون من دون غيرهم، والمرحومون هم المؤمنون، والمؤمنون هم اتباع النبيّ، واستعمال (لا) النافية للجنس في أسلوب القصر يعزّز قوّة الفعل التقريريّة؛ لأنّ النفي بها يفيد (نفي الجنس على سبيل التنصيص)[18]

توافقت صياغة الفعل الإخباري مع قصد المتكلّم في توكيد مضمون الخطاب، حيث جاءت موجزة ومؤكّدة؛ وذلك لأنّ السياق يتطلب العجلة والتسارع في الزمن، مما لا يتيح مجالاً للإطناب والتفصيل، لذا كان الايجاز ملائمًا الإيجاز للسياق، وكان التوكيد مناسبًا للإنكار.

ثانيًا – الأفعال التوجيهيّة:

وهي تشمل الأمر والنهي والرجاء، إذ يقصد المتكلّم في كثير من الأحيان تحفيز المخاطب للقيام بفعل معين، ويتطلّب ذلك وجود سلطة لدى المتكلّم تُمكّنه من توجيه مثل هذه الأفعال، إذ تعتبر السلطة العنصر الأساسي الذي يمنح الأفعال التوجيهيّة قوتها، وتختلف هذه القوّة باختلاف درجة السلطة[19]

وتتجلى السلطة الأسريّة في سلطة الوالدين وخاصة الأب، وسلطة الزوج والأخ الأكبر وغيرهم، وهناك عوامل تساهم في تشكيل هذه السلطة وتقوية تأثيرها مثل:

الفطرة والعرف والدين والقانون والثقافة والاقتصاد، بالإضافة إلى ذلك هناك عامل يتعلق بشخصية كل فرد، والسلطة في الحوارات الأسريّة القرآنيّة تتمثل السلطة في سلطة النبوّة المتعلقة بالعقيدة والتي تفرض التزامًا على المؤمنين بها، أو في سلطة الحكم والنفوذ. وقد استخدمت الأفعال التوجيهيّة بشكل متكرر في الحوارات الأسريّة من جهات متنوعة وبأساليب متعددة مثل: الأمر والنهي والاستفهام والخبر الذي يتضمّن توجيهًا، وأفادت تلك الأفعال أغراضًا مختلفة في نوعها وفي قوّتها الإنجازيّة وفقًا لاختلاف المقامات التخاطبيّة.

ومن الأمثلة على استخدام الأفعال التوجيهيّة ما ورد في حوار موسى وهارون - عليهما السلام - في قوله تعالى: {**وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ**}[الأعراف:142], فالمتكلم هنا موسى - عليه السلام - يمتلك سلطة سماويّة مُلزمة للمؤمنين بها، ولمّا كان الأخ المخاطب مؤمنًا بها فهو مُلزم بإنجاز الأفعال الموجّهة إليه، ويعتبر الإلزام أعلى درجات القوّة في الغرض الإنجازيّ، وممّا يدلّ على قوّة الإلزام في هذا الفعل هو ما ذكره السياق القرآني في موضع آخر بعد عودة موسى - عليه السلام - من ميقات ربّه حيث وجد قومه يعبدون العجل، قال تعالى: ﴿**قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا أَلَّا تَتَّبِعَنِي أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي**﴾ [طه: 92-93]، فموسى - عليه السلام - يُؤكّد أنّ طلبه السابق كان أمرًا مُلزمًا للمخاطب لا يقبل تهاون أو العصيان.

وقد استخدم المتكلّم ثلاثة أفعال توجيهيّة هي: (اخلفني، وأصلح، ولا تتّبع)، حيث يعتبر الفعل الأوّل هو الفعل الرئيس والمقصود الأوّل في التوجيه، وإذا اكتفى المتكلّم به لكان أغنى عن الآخرين؛ لأنّ خلافة النبيّ تقتضي الإصلاح وعدم الإفساد، ويهدف المتكلّم من هذا الفعل هو إلزام المخاطب بأن يكون خليفة له أثناء غيابه، وهو فعل مباشر لا يحتاج إلى تأويل، إذ يُفهم من الحمولة الدلاليّة للمحتوى القضويّ، أمّا الفعلان الآخران فهما فعلان توجيهيّان فرعيّان يُوضّحان مضامين الخلافة، وقد تمَّ تخصيصهما لتأكيد أهميتهما وتذكير المخاطب بضرورة الالتزام بهما، حيث يستلزم عدم اتّباع سبيل المفسدين مع التحذير من وجودهم في كل زمان ومكان، ولاشكّ في أنّ موسى - عليه السلام - كان على علم بوجود بعضهم بين القوم لذا جاء التحذير على افتراض احتمال وقوع السوء، ويعتبر الإصلاح وعدم اتباع سبيل المفسدين من

أهم الأمور التي يقوم بها الأنبياء وخلفاؤهم، كما قال تعالى على لسان شعيب - عليه السلام - : ﴿**إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ**﴾ [هود: من الآية 88]، وأيضًا قال تعالى لنبيه - صلى الله عليه وسلم - : ﴿**وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَمَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ**﴾[الرعد: 37].

تتجلى الأفعال التوجيهيّة في النص بأساليب مباشرة حيث تمَّ بصيغة الأمر المباشر مرّتين وبصيغة النهي المباشر مرّة واحدة، والغرض منها هو تحفيز المخاطب على إنجاز فعل الخلافة مع الالتزام بالإصلاح وعدم اتّباع سبيل المفسدين، ويتحقق شرط الإخلاص من خلال رغبة موسى - عليه السلام - في أن يكون أخوه هارون خليفة له؛ مما يدل على أنّ المتكلم يسعى لتحقيق الفعل من قبل المخاطب وجود يقين أو ترجيح من المتكلم بقدرة المخاطب على الإنجاز، ويعلم موسى - عليه السلام - تمامًا بقدرة أخيه؛ لذا كلّفه بهذه المهمّة العظيمة.

ومن الأفعال التوجيهيّة الأخرى التي لها قوّة الإلزام ما ورد في حوار يوسف - عليه السلام - مع إخوته في قوله تعالى: ﴿**اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ**﴾[يوسف: 93]، فقد استخدم المتكلّم ثلاثة أفعال توجيهيّة هي: (اذهبوا، وألقوه، وأتوني)، وجميعها أفعال أمر مباشرة موجهة نحو إخوته الذين يكبرونه سنًّا، وقد اعتمد المتكلّم على سلطتين:

الأولى : دينيّة تتمثل في النبوّة . والثانية: دنيويّة تتمثل في منصب عزيز مصر.

ويبدو أنّ السلطة الدنيويّة كانت لها الأثر الأكبر في هذا الخطاب على الرغم من أن الفعلين الأوّل والثاني اعتمدا على السلطة الدينيّة لضمان الإنجاز وتحقيق النتيجة المرجوة، ويتضح من تتابع الأفعال الأمرية أنّ المتكلّم مُتيقّن من إنجاز المخاطبين لتلك الأفعال، وقد زادت قوة الغرض الإنجازيّة من خلال كون المصلحة من هذا التوجيه تشمل المخاطبين، مما يُعدّ حافزًا لهم على الانجاز، فالإخوة الذين كانوا يسعون لزيادة حمل بعير يدعوا للسكن في بلاط عزيز مصر، والعزيز هو أخوهم، وقد شهدوا منه حسن الخلق ومقابلة الإساءة بالإحسان، وجاءت هذه الدعوة مُصاحبة لإعلان توبتهم وصفاء سرائرهم، مما جمع بين سعادتين: سعادة الدنيا وسعادة الآخرة.

لقد تضافرت العوامل السياقية في هذا الحوار لتعزيز القوّة الإنجازيّة للأفعال التوجيهيّة، مما أدى إلى تحقيق الأثر المطلوب في المخاطبين لإنجاز ما أمروا به، فتكون رغبتهم متطابقة مع رغبة المتكلّم نفسه، ويدرك المتكلّم قدرة المخاطبين على

الإنجاز، وقد استخدم معهم الإستراتيجيّة المباشرة لتحقيق مبدأ الإفادة الذي يُعدّ ثمرة الخطاب[20]

ويتّضح من الحوارين السابقين أنّ الأفعال التوجيهيّة في مجموعة من الحوارات الأسريّة تأخذ قوّتها الإنجازيّة أو تُعزّزها بالاعتماد على سلطات غير أسريّة قد تكون دينيّة أو دنيويّة أو كليهما، فيوسف - عليه السلام - لا يمتلك أيّة سلطة أسريّة على إخوته؛ كونه الأخ الأصغر، لذا ليس لكلامه قوّة إنجازيّة من هذا الجانب، ولكنّ السلطة الخارجيّة هي التي منحت كلامه درجة عالية من الشدّة وصلت إلى الإلزام.

أما بالنسبة للأفعال التوجيهيّة الملزمة المعتمدة على السلطة الأسريّة، فقد وردت في خطاب أم موسى -عليه السلام- لابنتها، حيث قول – تعالى- : ﴿**وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ**﴾ [القصص:11]، والقصّ هو تتبّع الشيء[21] فالأمّ استخدمت فعلاً توجيهيًّا هو قولها: (قُصّيه)، معتمدة على السلطة الأسريّة في هذا التوجيه، حيث إن البنت أدنى درجة من الأم، وهي ملزمة بإنجاز ما يُطلب منها، والغرض من هذا الفعل هو تحفيز البنت على تتبّع أثر أخيها موسى - عليه السلام - لمعرفة أحواله وإخبار الأم بذلك، وقد جاء الخطاب موجزًا في كلمة واحدة أفادت توجيه المخاطب؛ لأنّ المقام يُغني عن كثير من الألفاظ والعبارات.

لقد أظهرت الأفعال التوجيهيّة أغراضًا مختلفة وقوىً إنجازيّة متفاوتة، ويتضح ذلك من خلال فهم العلاقة بين المتكلم والمخاطب، لذا يتعين على الباحث في الحوارات القرآنيّة الاستناد إلى السياق القرآني وكتب التفسير وغيرها من المصادر؛ لأنّها تُعد روافد تداوليّة تُعين على فهم ملابسات المقام وخفاياه.

ومن المعاني التي أفادتها الأفعال التوجيهيّة هو(النصح)، كما يتجلى في حوار إبراهيم - عليه السلام- مع أبيه في قوله - تعالى- : ﴿ **إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا**﴾ [مريم: 42- 45]، فقد استخدم إبراهيم - عليه السلام - مجموعة من الأفعال التوجيهيّة التي تهدف إلى نصح أبيه وحثّه على التخلي عن الآلهة التي يعبدها، وقد بدأ حديثه بالنداء (ياأبتِ) رغم أنّ المخاطب حاضر الذهن، مما يعكس وظيفتين تداوليّتين: الأولى تتمثّل في تأكيد استحضار سمع المخاطب وذهنه لتلقّي الأمر المهم، والثانية تتمثّل في استدعاء

النسب والتلطّف في التعبير، مما يعزز إخلاص المتكلّم للمخاطب في النصح[22] ، وهذا التمهيد يُعدّ وسيلة فعالة وجيّدة لبدء الخطاب عامّة والخطاب مع المخالفين خاصةً؛ حيث يسهم في استمالة المخاطب نفسيًّا، ومع ذلك لا يضمن دائمًا تحقيق الهدف المنشود، إذ لم تنجح هذه الوسيلة في تحقيق غايتها في هذا الخطاب.

استخدم المتكلّم أربعة أفعال توجيهيّة بصيغ مختلفة، حيث بدأ بالاستفهام (لم تعبدُ) الذي أفاد تنبيه المخاطب وحثّه على مراجعة نفسه وإعمال عقله في أهم الأعمال، كيف يمكن لشيء لا يسمع ولا يُبصر ولا ينفع ولا يضرّ أن يكون معبودًا؟ فهو في حاجة إلى عابده، بل هو أكثر احتياجًا له، فالغرض من هذا الاستفهام الإنكاري هو إثبات فساد تلك العبادة ليُراجع المخاطب نفسه ويعدل إلى من يستحقّ العبادة، والتوجيه باستعمال الاستفهام، وقد اهتم المتكلم بشكل كبير بمناسبة حجّته الإقناعيّة للسياق المقامي ووضع المخاطب الفكري والعاطفي، حيث إن المخاطب لم يعبد تلك الأصنام عن وعي وتدبّر وحجج عقليّة، وإنّما هي موروثات من السلف تؤخذ على علاتها، ونظرًا لأنّ الحجّة المحسوسة هي الأكثر فعّاليّة في الإقناع، فقد استخدم إبراهيم - عليه السلام - حجّة حسيّة متعلّقة بالسمع والبصر والقدرة، وهي سهلة الإدراك بالنسبة للمخاطب، مما يمكنه من فهم حقائقها من خلال استدلال بسيط، وفي ذلك مراعاة لحال المخاطب العابد لما يُدرك بالحواس، وهذا يدلّ على كفاية المتكلّم في اختيار الحجج المناسبة للسياق[23] ، بعد ذلك استعمل الفعل التوجيهيّ الثاني وهو فعل الأمر المباشر (فاتّبعني) بعد أن قدّم له بفعل تقريري يوضح فيه سبب الاتّباع، فالمسوّغ لطلب الاتّباع هو أنّ المتكلّم يعلم أمورًا كثيرة يجهلها المخاطب، والعلم هنا هو كناية عن النبوّة، بعد أن أوضح المتكلم فساد عبادة المخاطب، بادر إلى تقديم البديل، وهو يعلم تمامًا سبل الوصول إليه وقادر على توجيه المخاطب نحو النتيجة المرجوة، وهي الهداية إلى الصراط المستقيم، ورفد التوجيه بالمقدّمات والنتائج يزيد من قوّته الإنجازيّة ويعمل على تقريب الفكرة من ذهن المخاطب وتحفيزه على قبولها، أمّا الفعل التوجيهيّ الثالث فقد جاء بأسلوب النهي (لا تعبد)، حيث تمَّ ذكر الشيطان في هذا السياق التوجيهي للإشارة إلى مصدر الضلال والانحراف، فكلّ ضلال من الشيطان، وعبادة الأصنام التي لا تسمع ولا تُبصر ولا تُغني شيئًا وجعلها أندادًا وشركاء لخالق السماوات والأرض هو من وساوس الشيطان التي يُريد بها إغواء الناس ليكونوا أولياءه في الدنيا ورفقاءه في جهنّم، وقد عبّر المتكلّم عن عبادة الأصنام "بعبادة الشيطان إفصاحًا عن

فسادها وضلالها، فإنّ نسبة الضلال والفساد إلى الشيطان مُقرّر في نفوس البشر"[24] كما أن استخدام صيغة المبالغة في المعصية (عصيًّا) مع ذكر لفظة (الرحمن) التي لا تُطلق إلا على الله سبحانه وتعني (الذي وسع كلّ شيء رحمة)[25] ؛ ليوضح شدّة عصيان الشيطان وعدم انفصاله عن ذلك العصيان، ولزيادة التنفير من الشيطان والتحذير منه استخدم المتكلم اسم الشيطان بشكل ظاهر في مقام الإضمار، حيث قال: (إنّ الشيطانَ)، فكان من الممكن أن يقول (إنّه)[26]

أمّا الفعل التوجيهيّ الرابع – الذي هو في الآية الأخيرة من الحوار – مرتبط ارتباطًا وثيقًا بالفعل الثالث، حيث يمثل نتيجة له، وقد كرّر المتكلّم لفظ (الرحمن) لتأكيد عظمة رحمة الله سبحانه وتعالى وشمولها لكلّ شيء، فلا يُحرم منها إلا الشخص الشقيّ الظالم لنفسه، إن بدء هذا الفعل بالتوكيد يعكس قصد المتكلم في تعزيز قوّته الإنجازيّة، مما يجعل التحذير يؤخذ على محمل الجدّ، كما أن نية المتكلم واضحة في استخدامه للفعل (أخاف) حيث يسعى إلى لمس مشاعر المخاطب وتأكيد صدقه وإخلاصه في النصيحة، إن استخدام الخوف "الدالّ على الظنّ دون القطع تأدّب مع الله تعالى بأن لا يُثبت أمرًا فيما هو تصرّف الله، وإبقاء للرجاء في نفس أبيه لينظر في التخلّص من ذلك العذاب بالإقلاع عن عبادة الأوثان"[27] ، ويختتم النصيحة بقوله: (فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيّاً) مما يعتبر بمثابة إعلان عن النتيجة السلبية التي ستترتب على الأب إذا استمر في عبادته، حيث يصبح تابعًا للشيطان الذي لا يقدّم له إلا الأباطيل والوساوس والشرور.

ومن الجدير بالذكر أنّ هناك تعارضًا بين المتكلّم والمخاطب في السلطات وتناقضًا في المعتقدات مما دفع المتكلّم إلى استخدام استراتيجيّات متنوّعة وأساليب لغويّة مختلفة جميعها تهدف إلى تحقيق الخطاب التوجيهيّ، فقد تنقلت الأساليب بين النداء والاستفهام والأمر والإخبار والتوكيد، أمّا الاستراتيجيات، فإن أبرزها الاستدلاليّة الحجاجيّة التي تمكن المخاطب من الوصول إلى مقاصد المتكلّم بنفسه بعد سلسلة من الخطوات الاستدلاليّة، وهذا يترك للمخاطب مجالاً للتفكّر والمراجعة؛ ليأخذ قرارًا نابعًا عن وعي وقناعة، فالمعتقدات الدينيّة المتوارثة لا تتغيّر بالإكراه، أو فرض الآراء بل من خلال المحاججة والإقناع، ومن الأمثلة على ذلك عدم استخدام المتكلّم للأمر المباشر أو النهي المباشر لترك عبادة الأصنام بل ذكر ما يقدح بتلك المعبودات، مما يجعل عبادتها تعتبر عبادة الشيطان نفسه.

تتمثل إحدى الأغراض التي تسهم فيها الأفعال التوجيهيّة في الحوارات الأسريّة في مفهوم (الرجاء)، حيث تستخدم هذه الأفعال في سياقات يكون فيها المتكلّم تحت سلطة المخاطب، ويشمل هذا المعنى معظم الأفعال الموجّهة من أبناء يعقوب - عليه السلام - إلى والدهم، ومن الأمثلة على ذلك ما ورد في قوله تعالى: ﴿**أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾ [يوسف: 12]، وقوله تعالى: ﴿ **قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ**﴾ [يوسف: 97]، إن الفعلين (أرسله, واستغفر) يمثلان أفعالا توجيهية صادرة عن جهة ذات سلطة أدنى، مما يعني غياب الالزام والتحول نحو غرض آخر هو الرجاء، الذي غالبًا ما يرتبط بمصالح المتكلّم على عكس النصح الذي يرتبط غالبًا بمصالح المخاطب، وفي هذين الفعلين يتجلى السعي لتحقيق مصالح الإخوة جميعهم بغضّ النظر عن هويّة المتكلّم، وقد استعان المتكلّم بأفعال إخباريّة مؤكّدة تعزّز القوّة الإنجازيّة للأفعال التوجيهيّة وتزيد في حثّ المخاطب على الإنجاز، فعلى سبيل المثال جاء طلب إرسال يوسف - عليه السلام - مصحوبًا بأفعال إخباريّة توضح علّته وتخفف من حدته، وهي: (يرتع، ويلعب، وإنّا له لحافظون)، حيث تعتبر الأفعال المرتبطة بالأكل واللعب والتكفّل بالحماية وسائل مساعدة ضمن الإستراتيجيّة الإقناعيّة المتّبعة، ويعتبر استخدام هذه الأفعال هنا مبررًا لـ"استباق عدم تسليم المُرسَل إليه نتائج المُرسِل أو دعواه"[28] ، أمّا بالنسبة لطلب الاستغفار، فقد تمَّ دعمه بفعل إخباريّ مؤكّد هو (إنّا كُنّا خاطئينَ)، حيث إن الاستغفار لا يتحقّق إلا بتوافق الأفعال مع الأقوال؛ لأنّه إن كان باللسان من دون الأفعال فهو فعل الكذّابين[29] ، وقد أسهم الفعل الإخباري في تأكيد المحتوى القضويّ للفعل التوجيهي، مما عزز من التأثير المطلوب من خلال التصريح بوقوع الخطأ والاعتراف به.

وتختلف الأفعال في ما يتعلق بشرط الصدق، حيث يتحقق الشرط في الفعل الثاني (استغفر)؛ لأنّ الإخوة يرغبون حقًّا في تحقيق فعل الاستغفار، ويتوافق قصدهم مع اعترافهم بالخطأ، وهو ما يتضح من السياق القرآنيّ وكتب التفسير التي تعدّ روافد تداوليّة لا غنى عنها، أمّا الفعل الأوّل (أرسلْ) فإن شرط الصدق متحقّق في نفوس الإخوة؛ لأنّهم راغبون في اصطحاب يوسف - عليه السلام - وينتظرون موافقة الأب على ذلك، ولكنّ سبب إنجاز الفعل المصرّح به من الإخوة مخالف تمامًا لقصدهم، فقصدهم هو إلحاق الضرر بيوسف - عليه السلام - وإيذاؤه لا إسعاده وحفظه كما زعموا، وبالتالي فإن هذا الفعل رغم إنجازه يعتبر سيئًا في طبيعته؛ لأنّه يتعارض مع

المضمون القضويّ للأفعال الخبريّة التي تعتبر جزءًا منه وسببًا في تعزيز قوّته الإنجازيّة.

وتتجلى إحدى الدلالات الأخرى للأفعال التوجيهيّة في مفهوم (التحريض)، وهو المعنى الذي يتحقّق عندما يحُثّ المخاطب بقوّة على القيام فعل معين، فالتحريض على أمر هو (الحثّ والإحماء عليه)[30] ، كما يتضح في خطاب أحد إخوة يوسف - عليه السلام - في قوله - تعالى- : ﴿**اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ**﴾ [يوسف: 9]، فالمتكلّم استخدم فعلين توجيهيّين هما:(اقتلوه، واطرحوه) مما جعلهما خيارين للمخاطبين، يجدر بالذكر أن هذا التوجيه لا يتضمن سلطة الإلزام إذ لا يمتلك المتكلم سلطة على إخوته، بل هو من قبيل التحريض والحثّ على الإنجاز، وقد اعتمد المتكلّم على قوّة إنجازيّة سياقية تتمثّل في اتّفاق الإخوة على حسدهم وبغضهم ليوسف - عليه السلام - وإجماعهم على ضرورة إبعاده عن أبيه، لذا أعقب التوجيه بفعلين خبريين هما: (يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ)، و(وَتَكُونُواْ مِن بَعْدِهِ قَوْماً صَالِحِينَ) وقد ذكر المتكلم حسن الخاتمة، وهي من أنواع الإقناع والحجاج بأن تذكر المتلقي بما يحصل عليه من خاتمة سعيدة وهي هنا (يخلوا لكم وجه أبيكم وكذلك ذكرهم أنه بإمكانهم التوبة ويكونوا صالحين وذلك لتأكيد هذا المعنى في أذهانهم ولتكون هذه الأفعال مبررات لذلك المحظور، وهذا يُؤدّي إلى زيادة التأثير في المخاطبين وإغرائهم، فالأب سينشغل بهم وحدهم ويلتفت إليهم من دون مزاحمة يوسف - عليه السلام - إيّاهم، ويأتي صلاح الحال بعد هذا الفعل، ولعلّه يقصد بالصلاح التوبة بعد إنجاز الفعل، أو أنّ خلو وجه الأب لهم هو صلاح لحالهم ولدنياهم[31] ، فالصلاح في المستقبل يساوي الإفساد في الحاضر بقتل أخيهم، وهذا يعكس مكر المتكلّم ودهائه للسيطرة على عواطف المخاطبين قبل عقولهم.

وفي سياق التحريض أيضًا ما جاء في حوار امرأة العزيز وزوجها بعد مراودتها ليوسف - عليه السلام - في قوله - تعالى- : ﴿ **وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾ [يوسف: 25]، نلحظ بعض التشابه بين هذا الفعل والفعل السابق، حيث يتولى المتكلّم في الحوارين ضمان أو ترجيح تأييد المخاطب، وهو ما يسمى بالاستراتيجية التضامنية، وكلاهما استخدم التخيير في التوجيه، إلا أن الفارق يكمن في أنّ المتكلّم في الحوار السابق كان في موقف أقوى، وكان الفعل في ذلك الحوار كان سيّئًا مع وجود

علته، وكان جميع المتخاطبين على علم بسوئه، بينما الفعل في الحوار الحالي كانت المتكلمة -امرأة العزيز- في موقف ضعف من جانبين: الأوّل نفسي بسبب خطأها، والثاني سياقي نتيجة خضوعها لسلطة المخاطب، ولم يكن الفعل سيّئًا في ذاته، بل لعدم مطابقة علته؛ أي لو أراد شخص سوءًا بها لاستحق السجن أو العذاب، ولم يكن سوء الفعل معلومًا للمخاطب، وعندما علم به تجاهل التوجيه وكأنّه لم يذكر، وبسبب ضعف موقف امرأة العزيز لم تستخدم الأمر المباشر، بل لجأت إلى الاستفهام، وكما أنها لم تُشر إلى يوسف - عليه السلام - مباشرة ولم تصرّح باسمه وإنّما ذكرت قاعدة عامّة يدخل فيها كل من أراد السوء بها. وهي بالاستفهام لا تبحث عن جواب فالجواب معلوم ولكن أرادت استخدام الاستراتيجية التوجيهية وهي سجن يوسف فهو يستحق السجن بفعله وكان مخططها بهذا الخطاب ابعاد التهمة عنها واتهام يوسف بالخطأ.

وقد يفهم من الأفعال التوجيهيّة (الإنكار) أو (التعجّب)، ولا مانع من الجمع بينهما في بعض الأفعال، وغالبًا ما يستخدم أسلوب الاستفهام مع هذين المعنيين، ومن الأمثلة على الإنكار ما ورد في خطاب الأب في قوله – تعالى- : ﴿ **قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا**﴾[مريم: 46]، وكذلك في خطاب الابن الكافر لوالديه في قوله- تعالى- : { **وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَكُمَا أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ وَيْلَكَ آمِنْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ**}[الأحقاف: 17]، إن خطاب الأب في الحوار الأوّل وخطاب الابن في الحوار الثاني يتشابهان في كونهما صادرين من شخصين كافرين، بالإضافة إلى إظهار الغلظة وفضاعة القول وسوء الخلق ومقابلة الإحسان بالإساءة، وهذا يتعارض مع أفعال النصح التي تمَّ ذكرها سابقًا، حيث تبدأ بعبارات محبّبة إلى نفس المخاطب وتحتوي على كل ما من شأنه تقريب المخاطب واستمالته.

إن الفعلين التوجيهيين (أراغب، وأتعداني) لم يُقصد بهما حقيقة الطلب، بل إنكار وقوع المحتوى القضويّ للفعل من المخاطب، فالأب يعلم من مقامه أنّ إبراهيم - عليه السلام - راغب عن آلهته، بل ويحثّه على تركها والتوجّه لعبادة الله سبحانه؛ لذلك استعمل الاستفهام لإظهار إنكاره لتلك الرغبة وتعجّبه من وقوع مثل هذا الأمر، فهو يرى أنّ آلهته لا تُترك ولا يُعدل عنها، وقد اعتمد في توجيهه على سلطتين: الأولى هي سلطة الأبوة، والثانية هي سلطة الكثرة والقوّة، وقد عزّز المتكلّم إنكاره بالتهديد والوعيد من خلال فعلين توجيهيّن آخرين، الأوّل جاء بصيغة الشرط (لَئِن لَّمْ تَنتَهِ

لَأَرْجُمَنَّكَ)، والآخر بصيغة الأمر (وَاهْجُرْنِي مَلِيّاً)، وبهذا يقابل نصح الابن بالغلظة والتهديد، ولم يخاطب (يا أبتِ) بـ(يا بُنيّ) بل باستعمال الاسم الصريح (يا إبراهيم)، مما أدى إلى تقويض الاستراتيجيّة التضامنيّة التي انتهجها إبراهيم - عليه السلام - .

أمّا الفعل التوجيهيّ الإنكاريّ في الحوار الثاني، فقد بدأه الابن بعبارة (أفّ لكما) التي تدلّ على الضجر والانزعاج، وهي موجهة للوالدين خاصة بقرينة اللام في (لكما)[32] ، وهذا يدلّ على سوء خلقه فضلاً عن سوء عقيدته، فهو يُقابل إحسان الأبوين ونصحهما بهذا المنطق الغليظ السيّئ، ومن الواضح أن قصد المتكلّم من اللفظة الأولى هو زيادة الفجوة العاطفيّة بينه وبين والديه لتتناسب مع الفجوة الفكريّة العقائديّة بينهما، وقد عزز المتكلم الفعل التوجيهي بحجة يراها كافية لإنكار البعث، وهي قوله: (وَقَدْ خَلَتْ الْقُرُونُ مِن قَبْلِي)؛ أي إنّ الأمم السابقة على كثرتها لم يُبعث منهم أحد[33] ، ثمّ أنهى الحوار بوصف البعث وكلّ ما يتعلّق به بالأساطير التي وضعها السابقون ولا حقيقة لذلك، وقد خالف المتكلّم مبدأً مُهمًّا من مبادئ الخطاب، وهو مبدأ التأدّب الذي يُؤكّد أنّ المسافة "الاجتماعيّة بين المتحاورين تحكمها القيم والمواضعات الثقافيّة السائدة مثل السنّ والمكانة"[34] ، مما يجعله فعلاً سيّئًا في أدائه؛ لعدم مراعاته سلطة المخاطب.

أمّا الأفعال التي أفادت معنى التعجّب تختلف عن الأفعال التي أفادت الإنكار، حيث أنّها تحتاج إلى جواب من المخاطب؛ مما يشير إلى طلب حقيقي لمعنى التعجب، وقد يكون المتكلّم خالي الذهن تمامًا كما يتضح في خطاب زكريّا لمريم - عليهما السلام - في قوله تعالى: ﴿ **فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ**﴾ [آل عمران: 37]، و- أيضًا - في خطاب زوج النبيّ الأكرم (صلّى الله عليه وآله وسلّم) في قوله – تعالى- : ﴿**وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ**﴾ [التحريم: 3]، فالفعلان التوجيهيّان المستعملان في الحوارين السابقين (أَنَّى لَكِ هَذَا)، و(مَن أَنبَأَكَ هَـذَا) يُراد بهما حقيقة الطلب والاستخبار عن المحتوى القضويّ مع تعزيز القوّة الإنجازيّة للعبارة مقاميًّا من خلال إظهار حالة التعجّب من ذلك المحتوى؛ إذ يعتبر التعجّب وسيلة لزيادة القوّة الإنجازيّة من خلال إضفاء بُعد سياقي يعود إلى مقصد المتكلّم من ذلك التوجيه[35]

ومن العناصر المشتركة بين الفعلين هو وجود حالة الاستغراب والتعجّب في الأسلوب الاستفهامي، وهو ما يتضح من السياق المقامي للحوارين كما بيّنه السياق القرآني وكتب التفسير، كما أن استخدام اسم الإشارة في الفعلين يُغني عن التصريح بالمشار إليهِ، حيث إنّ العلاقة الخاصة بين المخاطبين والله -سبحانه وتعالى- تجعل الإجابة واضحة ومباشرة، فالله جل شأنه هو الذي أنزل الرزق على مريم -عليها السلام- وهو الذي أخبر نبيه المصطفى -صلّى الله عليه وسلّم- بفعل الإفشاء.

تتباين الأفعال في العلاقة بين الأطراف المتحاورة، ففي الفعل الأول المتكلم هو صاحب السلطة على المخاطب، كونه المُتكفّل بالرعاية وله منزلة الأب، بينما في الفعل الثاني المخاطب هو صاحب السلطة على المتكلم من جانبين: النبوّة والبعولة؛ لذا يمتلك الفعل الأول قوّة إنجازيّة أكبر من الفعل الثاني، لأن قوة الأفعال التوجيهيّة تتدرج "طبقًا لدرجة السلطة ووجودها من عدمها" (36)

ثالثًا ـ الأفعال الالتزاميّة:

تستند هذه الأفعال على الوعد بفعل شيء في المستقبل من جهة المتكلّم، حيث يتمثل المجالان الرئيسيان لهذه الأفعال في الوعد والوعيد (التهديد)، وقد تعود الفائدة من أفعال الوعد على كلا طرفي الخطاب أو على أحدهما، بينما الضرر من أفعال الوعيد يكون دائما على المخاطب. فالأفعال الكلامية الالزامية متنوعة الدلالة فبعضها يفيد الوعد وبعضها يفيد التهديد والبيع والزواج والطلاق وهي تسمى بالوعديات أي : أن المتكلم ينجز فعلا كلاميا بتلفظه فعندما يقول بعتك أو أنت طالق أو أشكرك فإن الفعل يقع من المتكلم بمجرد نطقه .

وتستخدم هذه الأفعال في سياقات خطابيّة متنوعة مثل الحوارات الأسريّة، وغالبًا ما ترتبط بأدوات الاستقبال (السين، وسوف)، التي تحول الفعل المضارع للاستقبال، وتؤكّد على وقوع الوعد والوعيد(37) ، ومن أمثلة استخدامها في الوعد ما ورد في حوارات إخوة يوسف -عليه السلام- مع أبيهم في موضعين مختلفين، الأوّل يتعلّق بيوسف -عليه السلام- في قوله - تعالى- : ﴿ **قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ** ﴾[يوسف: 11-12]، فالإخوة استخدموا أفعالًا التزاميّة في قولهم: (وإنّا لهُ لناصحونَ)، وقولهم: (وإنّا له لحافظونَ)، هذه أفعال التزامية تعهد فيها الإخوة لأبيهم بحفظ يوسف - عليه السلام - والنصح له؛ أي إنّهم ألزموا أنفسهم بذلك التعهد، لكن نظرًا لأنهم كانوا في موضع

أدنى من المخاطب وجب عليهم أن يكونوا أكثر حرصًا على الالتزام بما وعدوا به، ومع ذلك لم يتحقق بسبب غياب الركن الأهم فيها الذي هو شرط الإخلاص الذي يعني صدق نوايا المتكلّم وعزمه على الالتزام بما قطعه على نفسه، إذ كانت نوايا الإخوة مخالفة لتعهّداتهم، حيث عزموا على إلحاق الأذى بأخيهم، ولزيادة القوّة الإنجازيّة لتعهّدهم استخدموا مؤكّدات لفظيّة (إنّ، واللام) مع كلّ فعل، وكرروا التعهّد مع تغيير المحتوى القضوي في كلّ مرّة، فتارة يكون النصح الذي يعني الإخلاص في طلب الصلاح والخير(38) ، وأخرى الحفظ، حتّى قولهم بعد تخوّف الأب من الذئب لا يخلو من فعل التزامي تعهدي، حيث قال - تعالى- : ﴿ **قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَخَاسِرُونَ**﴾ [يوسف:14]، فهم الجماعة القويّة التي يُعتمد عليها في إتمام ما وعدت به، وفي هذا السياق أيضًا جاء التوكيد بالمؤكّدين (إنّ، واللام) مع إنزال أنفسهم منزلة الخاسر في حال وقع ما يخشاه الأب.

تظهر جميع هذه التعهّدات المؤكّدة أنّ الإخوة مدركون لعدم وثوق الأب بهم وأنّه لا يأمنهم على يوسف -عليه السلام-، كما تُبيّن إصرارهم وعزمهم على تنفيذ المؤامرة المعدّة مسبقًا، وما كان للأب أمام هذه العهود المؤكّدة إلاّ أن يستجيب لطلبهم مع تصريحه بخوفه على يوسف -عليه السلام- من هذا الخروج، وبالتالي فإن هذه الأفعال الإلتزاميّة تعتبر سيّئة في طريقة أدائها؛ نظرًا لافتقارها لشرط الإخلاص، وهي أفعال غير منجزة وغير موفّقة لعدم تحقيق الغرض منها وهو حفظ يوسف -عليه السلام- والنصح له.

أمّا الموضع الآخر فيتعلق بشقيق يوسف -عليه السلام- الذي هو بنيامين كما ورد في قوله - تعالى- :﴿ **لَمَّا رَجَعُوا إِلَى أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾ [يوسف:63]، وفي قوله - تعالى- : ﴿**وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ**﴾ [يوسف: 65]، فالأخوة استعملوا فعلين التزاميّين هما: (وإنّا له لحافظون)، و(نحفظُ أخانا)، حيث يُعتبر الفعل الأول أساسيًا في التعهّد، وقد جاء بمؤكّدين (إنّ، واللام) لتعزيز قوّته الإنجازيّة وزيادة تأثيره، أمّا الفعل الثاني فهو تأكيد للفعل الأول ومساعد على ترسيخ فعل التعهّد في ذهن المخاطَب، وقد كان للأب الحجّة في رفض تعهداتهم وعدم الوثوق بها في هذا السياق؛ نظرًا لعدم إلتزامهم بما قطعوه على أنفسهم سابقًا بشأن اصطحاب يوسف -عليه السلام-؛ لذلك

طلب منهم تعهّدًا خاصًّا في قوله - تعالى- : ﴿ **قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ**﴾ [يوسف: 66]، فهذا الموقف الذي أشار إليه القرآن الكريم هو أيضًا فعل التزامّي من الإخوة ألزموا به أنفسهم ولكنّه لم يُستعمل في حوار صريح كما في الأفعال السابقة، والأفعال الالتزاميّة الخاصّة بهذا الموضع هي أفعال جيّدة في طريقة أدائها لوجود شرط الإخلاص، فالإخوة صادقون في طلبهم وقاصدون حفظ أخيهم والنصح له، وهي أفعال غير موفّقة وغير منجزة لعدم تمكنّهم من إرجاع أخيهم معهم.

ومن الأفعال الوعديّة الأخرى ما ورد في خطاب كل من يعقوب ويوسف -عليهما السلام- للإخوة، فقد جاء خطاب يعقوب -عليه السلام- في قوله - تعالى- : ﴿ **قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ**﴾ [يوسف: 98]، وخطاب يوسف -عليه السلام- في قوله – تعالى- : {**قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ**} [يوسف: 92]، حيث يعتبر كل من (**سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيَ**)، و(**لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ**) فعلاً التزامّيًا استعمل للتعهّد بأمر معيّن، وجاءت هذه التعهّدات بعد إعلان الإخوة توبتهم واعترافهم بأخطائهم، فالأب استعمل الفعل بعد طلب أبنائه أن يستغفر لهم، مما ألزم نفسه بالاستغفار لهم في المستقبل من دون تحديد زمن الاستغفار، ويعود تأخير الاستغفار إلى مقصديّة المتكلّم في انتظار وقت الإجابة، أو ليطمئن إلى صدق التوبة، أو لأنّ فعل الاستغفار سيتكرر كثيرًا ويمتدّ زمانه[39] ، واستخدام (سوف) يتناسب ذلك التأخير، فالحروف الثلاثة فيها أجدى من استعمال (السين) [40] ، كما أن استخدام صفة الربوبيّة واتّصالها بالضمير العائد على المتكلم يدل على التلذذ بهذا الذكر والافتخار بهذا الانتساب، وفيه دلالة أيضًا على قرب منزلته من الله سبحانه وتعالى، وما طلب الأبناء من أبيهم إنجاز فعل الاستغفار إلاّ ليقينهم بذلك القرب، واستخدام الجملة الخبريّة (إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ) رسالة اطمئنان إلى نفوس المخاطبين وتأكيدًا لهم بأنّ أبواب رحمة الله سبحانه ومغفرته واسعة مفتوحة لكلّ من تاب وآمن وعمل صالحًا، ولأهميّة تقرير هذا المعنى في أذهانهم جاءت الجملة مُعزّزة بمؤكّدين (إنّ، وضمير الفصل).

أمّا الفعل الذي قام به يوسف - عليه السلام - فقد جاء بعد أن شهد صلاح حال إخوته وصدق توبتهم، هذا الفعل الالتزاميّ لم يكن يقصد به المتكلّم القيام بشيء في المستقبل، بل ترك الأفعال المتوقّعة في هذا السياق التخاطبي، فقد تعهد لإخوته بعدم التثريب، والتثريب هو (اللوم والأخذ على الذنب) [41] ؛ مما يعني أنه ألزم نفسه بعدم

لومهم وتأنيبهم على أفعالهم السابقة، إن استخدام (لا) النافية للجنس يُعزز من قوّة الفعل الإنجازي ويرفع درجته، حيث يؤكد هذا الاستخدام ترك كلّ ما من شأنه أن يندرج ضمن اللوم والتأنيب.

فالفعلان الالتزاميّان اللذان تمَّ استخدامهما في الحوارين يهدفان إلى إلزام المتكلّم نفسه بفعل الاستغفار في الحوار الأوّل، وترك فعل اللوم والتأنيب في الحوار الثاني، وكلا الفعلين يتضمنان شرط الإخلاص فالمتكلّمان –وهما نبيّان – يسعيان للالتزام بما وعدا به؛ أي إنّ الفعلين جيّدان في طريقة أدائهما، وامتلاك المتكلّمين السلطة التي تُمكّنهما من تحقيق وعديهما، مما يعزز القوة الإنجازيّة للفعلين ويزيد من تأثيرهما في نفوس المخاطبين الذين تعود عليهم الفائدة إذا ما تمَّ إنجاز هذه الأفعال، وهذا يعني أنّ امتلاك المتكلّم سلطة على المخاطب يزيد من قوّة الفعل الالتزاميّ؛ لأنّ الفعل سيّتخذ مسارًا نازلًا في تحقيق مصلحة الأدنى.

ومن الأفعال الوعديّة الأخرى ما ورد في حوار إبراهيم -عليه السلام- مع أبيه في قوله تعالى: {**قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا**}[مريم: 47]، فنبيّ الله إبراهيم -عليه السلام- استعمل فعلًا التزاميًّا في قوله: (**سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي**)، حيث ألزم نفسه بإنجاز فعل الاستغفار في المستقبل، والصياغة اللغويّة تدلّ على التزام المتكلّم بإظهار الإخلاص في النصح والأدب الرفيع في مقام الوعظ، حيث بدأ بالسلام وما يحمله من معانٍ سامية تُلامس الوجدان وتستميل المشاعر، كما استخدم كاف الخطاب لتوكيد أنّه المعنيّ بهذا السلام، ثمّ جاء الفعل الالتزاميّ وما يتضمّنه من وعد بالاستغفار، واختيار صفة الربوبيّة وما تحمله من رحمة وعناية وتدبير، واستخدام ياء المتكلّم مع هذه الصفة لتأكيد قرب منزلته من الله سبحانه وتعالى، وقد أكّد ذلك بفعل إخباريّ مؤكّد الذي هو قوله: (إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيّاً)، حيث إن الحفيّ هو البارّ اللطيف المعين[42] ، وهذه الحفاوة التي يحظى بها إبراهيم -عليه السلام- تُعزز القوّة الانجازيّة لفعل الوعد، وقد أوضح السياق القرآني- الذي يُعدّ رافدًا مقاميًا مهمًّا – أنّ الفعل أُنجز، حيث استغفر إبراهيم -عليه السلام- لأبيه في قوله تعالى: ﴿ **وَاغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ**﴾[الشعراء: 86]، وقد صرّح القرآن الكريم بأنّ هذا الاستغفار جاء وفاءً بالفعل الالتزاميّ الوعديّ، حيث قال تعالى-:﴿ **وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ**﴾[التوبة: 114].

ومن الأمثلة على الأفعال الوعديّة كذلك ما ورد في خطاب إسماعيل لأبيه إبراهيم -عليهما السلام- في قوله تعالى: ﴿**فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ**﴾[الصافات: 102]، إن قول إسماعيل -عليه السلام-: (سَتَجِدُنِي إِن شَاء اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ) يمثل فعلاً التزاميًّا وعديًّا، حيث تعهد للأب بالصبر على مواجهة هذا الابتلاء، وبفضل إيمانه العميق وخضوعه لله -سبحانه وتعالى- جعل هذا التعهّد معلقًا على مشيئته -جلّ شأنه-، فالتعهّد بالصبر على هذا الابتلاء هو الغرض من الفعل، وشرط الإخلاص متحقّق لعزم المتكلّم على الوفاء بوعده، وهو فعل مُنجز لالتزام المتكلّم بما وعد به قبل أن تأتي مرحلة الفداء بالكبش وانتهاء الابتلاء بها، وتعود المصلحة من إنجاز هذا الفعل على طرفي الخطاب؛ لأنّ في إنجازه طاعة لله -سبحانه وتعالى-. وتظهر أفعال الوعيد في النصوص القرآنية دلالات عميقة في سياقات الحوار الأسري كما يتضح من الخطاب الذي دار بين قابيل وأخيه هابيل ففي قوله – تعالى- : ﴿**وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ**﴾ [المائدة: 27]، نجد أن عبارة قابيل: (لأقتلنّكَ) تعبر عن فعل التزاميّ في الوعيد، حيث يُظهر المتكلم عزيمته على تنفيذ فعل القتل في المستقبل، وهو ما يتطلب شرط الإخلاص، وقد تمَّ تعزيز هذا الفعل بمؤكدات لفظية، مثل القسم ونون التوكيد، مما يزيد من قوته وتأثيره, فاستعمال المؤكّدات مع الأفعال الكلاميّة يعكس نية المتكلّم في تعزيز المعنى القضويّ للفعل وتقريره، ويظهر السياق التخاطبيّ أن المتكلّم كان جادًا في قوله؛ مما دفع المخاطب (هابيل) إلى الرد بسرعة، حيث أوضح أنّه لا ذنب له يستحقّ هذا الوعيد، مشيرًا إلى أن الحكم هو لله -سبحانه وتعالى- الذي يتقبل من المتّقين، وقد عكس تقوى هابيل رده على الوعيد بوعد، كما جاء في قوله تعالى: ﴿ **لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ**﴾ [المائدة: 28]، ويُظهر السياق القرآني أنّ فعل الوعيد قد تحقق، حيث قال تعالى: ﴿ **فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ**﴾ [المائدة: 30].

ومن أفعال الوعيد أيضًا ما تجلى في خطاب الأب كما يتضح في قوله - تعالى- : ﴿ **قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا**﴾ [مريم: 46]، هنا الأب استخدم فعلًا التزاميًّا في قوله: (**لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيّاً**)، مما

يعبر عن وعيد لإبراهيم -عليه السلام- بالرجم والهجر إذا لم يتراجع عن موقفه تجاه الآلهة؛ وقد اعتمد المتكلم على أسلوب الشرط للتعبير عن وعيده، حيث يتوقف جواب الشرط الذي هو الوعيد بالرجم على تحقق فعل الشرط المتمثل في عدم انتهاء المخاطب، وتستند القوّة الإنجازيّة لفعل الوعيد إلى سلطتين: السلطة الأبويّة، وسلطة الكثرة، حيث يعتمد المتكلم على كثرة قومه الذين يعبدون هذه الآلهة مقابل انفراد إبراهيم -عليه السلام- وقلّة ناصريه، ومع ذلك لم تُفد السلطة الدينيّة لإبراهيم -عليه السلام- في هذا السياق لعدم اعتراف الأب بها، وهذا الفعل الالتزاميّ جيّد في أدائه لاشتماله على شرط الإخلاص، فالمتكلّم عازم على تنفيذ ما يتوعّد به ومتيقّن من أنّ له القدرة على تحقيق الفعل، وهذا شرط مهمّ في حسن أداء الأفعال الالتزاميّة، فالمتكلّم يجب أن يستشعر القدرة على الإنجاز قبل التلّفظ بالالتزام، وقد بيّن السياق القرآني أن وعيد الأب أُنجز لعدم تحقّق فعل الشرط، فإبراهيم -عليه السلام- ترك أباه وقومه واعتزلهم، قال تعالى: {وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا}[مريم: 48]، وكما أنّ هابيل قابل وعيد أخيه بالوعد والمسالمة فقد قابل إبراهيم -عليه السلام- وعيد الأب بالسلام والوعد بالاستغفار له، وقد ذكرنا ذلك مع أفعال الوعد.

من الجدير بالذكر أنّ الوعيد في الشاهدين لا يتناسب مع الروابط الأسريّة والعلاقة النسبيّة بين طرفي الخطاب، حيث يشترك المتكلمان في خضوعهما لأهواء النفس وتأثيرات الشيطان، وهو ما يُعتبر السبب الرئيسي في الجرأة على مثل هذه الأفعال.

رابعًا ـ الأفعال التعبيريّة.

تتعلّق أفعال هذا القسم بالشكر والثناء وبحالة المتكلّم النفسيّة وتعكس هذه الأفعال تأثّير المتكلم وانفعالاته سواء كانت إيجابيّة أو سلبيّة في أثناء الكلام، وهذه الأفعال لا تلتزم بصيغ لغويّة محددة، بل تعتمد على العادات اللغويّة والسياقات المختلفة، ومن المهمّ أن تكون هذه الأفعال صادقة أي أن تتوافق مشاعر المتكلّم مع ما يقوله، وهذا التوافق هو الذي يجعلها أفعالًا ناجحة في طريقة التعبير عنها.

ومن أمثلة الأفعال التعبيريّة في الحوارات الأسريّة ما ورد في كلام النبيّ يعقوب – عليه السلام- في قوله تعالى: ﴿ **قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ**﴾[يوسف: 13]، وقوله تعالى: ﴿ **وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ**﴾[يوسف: 18]،

وقوله تعالى: ﴿**وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ**﴾[يوسف: 84]، في الآية الأولى استخدم المتكلّم فعلين يعبران عن مشاعره: (ليحزنني)، و(أخاف) هذا يوضح مشاعره للمخاطبين بعد أن طلبوا أخذ يوسف -عليه السلام- معهم، وبدأ المتكلّم بالحزن؛ لأنّه يشعر به بمجرّد أن يبتعد يوسف -عليه السلام- عن نظره، والحزن هو "ألم القلب بفراق المحبّ ويعظم إذا كان فراقه إلى ما يبغض"[43] ، وقد أكد الفعل بكلمتي (إن، واللام) لزيادة تأثيره وتوضيح قوته الإنجازيّة ولتعزيز دلالته التقريريّة، فالأبُ يُؤكّد لأبنائه وقوع ألم الفراق لحظة ذهابهم بيوسف -عليه السلام- وإن كانت النوايا حسنة والأيدي أمينة، فكيف وهو يعلم حسدهم وبغضهم ليوسف -عليه السلام، ثم يقوم المتكلّم بفعل تعبيريّ ثانٍ وهو فعل محتمل الوقوع بعكس الفعل الأوّل الذي هو ثابت ومؤكد إذا وافق طلبهم، والخوف هو "توقّع مكروه عن أمارة مظنونة أو معلومة"[44] ، فالحزن والخوف فعلان تعبيريان يظهران مشاعر وأحاسيس المتكلم السلبيّة تجاه أمر ما، وإظهار هذه المشاعر في هذا المقام التخاطبي محاولة من الأب لثني الأبناء عن طلبهم؛ لأنّ من مواضع البرّ ألا يفعل الأبناء ما يُحزن أو يؤذي آباءهم ويُؤلمه[45] ، والأب لم يُصرّح بما يعلمه عن حسدهم وكرههم، ولم يجعله سببًا لامتناعه عن اصطحابهم ليوسف -عليه السلام-، حتّى أنّه عندما ذكر خوفه من الذئب فعل ذلك في لحظة غفلة منهم، وما ذلك إلّا لحفاظ على الروابط الأسريّة وضمان استمرارها، فالاحتفاظ على شيء من المودّة والاحترام والعطف خير من فقدان كلّ شيء[46]

وفي الآية الثانية استخدم المتكلّم فعلًا تعبيريًّا في قوله: (فَصَبْرٌ جَمِيلٌ)، أراد أن يوضح أنّ مشاعره وانفعالاته النفسيّة تجاه هذا الحدث الكبير وما يدركه من إضمار الأبناء لأمر ما على نحو الإجمال لا التعيين ستكون تحت سيطرة لما وصفه بالصبر الجميل؛ أي الصبر الذي لا يشكو فيه إلّا لله -سبحانه وتعالى-، أو الصبر الذي لا يرافقه جزع[47] ، وفي ذلك تسلية للنفس وتخفيف للهمّ؛ فهو يفوّض أمره لله -سبحانه وتعالى- ويستعين به لتحمّل هذا الأمر الصعب ولكشف كذب ادعاءات أبنائه، هذا الفعل التعبيريّ يمثل انفعالات سلبيّة للمتكلّم على الرغم من أنّ الصبر الجميل من الصفات الحسنة التي يحبها الله؛ لأنّ الفراق والألم والحزن أمور لا يريدها المتكلّم لنفسه، وقد كرّر نبيّ الله يعقوب -عليه السلام- هذا الفعل التعبيريّ في حادثة بنيامين

في قوله تعالى: ﴿ **قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ**﴾[يوسف: 83].

أمّا في الآية الثالثة فقد استخدم المتكلّم فعلًا تعبيريًّا في قوله: (يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ)، هذا الفعل يُبيّن حال الحزن والتحسّر في نفس المتكلّم، والأسف: هو أشدّ الحزن والندم والتحسّر[48] ، وقد بيّن السياق القرآنيّ حال المتكلّم بعد ما قال هذا الفعل، فهو ملازم للحزن والبكاء حتّى ابيضّت عيناه؛ أي "محقت الدموع سواد العين وقلبته إلى بياض"[49] ، وهذه إشارة تُعطي صورة واضحة لحال المتكلّم النفسيّة ودرجة حزنه ومعاناته، وتأسّف الأب على يوسف -عليه السلام- مع أن المقام التخاطبيّ يتعلّق بسجن الأخ الشقيق ليوسف - عليه السلام - يُبين أنّ فقد يوسف - عليه السلام - هو أعظم المصائب على قلبه، وأنّ الحزن عليه باقٍ غضًّا طريًّا مهما طال عليه العهد، وأنّ الأسف عليه أسف على مَن بعده، وقد شكّلت لفظتي (يا أسفي، ويوسف) جناسًا لطيفًا غير متكلّف[50] يعمل على زيادة وقع الملفوظ على النفوس، فالمسامع تأنس بالفنون البديعيّة المطبوعة.

لم يكن الهدف من الأفعال التعبيريّة السابقة تحقيق هدف معيّن بل الغرض منها التعبير عن حال المتكلّم النفسيّة، وهي أفعال جيدة لاشتمالها على صدق المشاعر، فالمتكلّم يشعر حقيقة بما يلفظه، وتقع جميعها ضمن الانفعالات السلبيّة، فهي ضد مشاعر الفرح والسعادة والاطمئنان.

وقد استخدم الفعل التعبيّري (أخاف) في حوار النبي إبراهيم -عليه السلام- مع أبيه في قوله - تعالى- : ﴿ **يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا**﴾[مريم: 45]، كان هدف المتكلّم من استخدام هذا الفعل هو التعبير عن صدق مشاعره تجاه من يخاطبه، فهو يخشى عليه من عذاب الله -سبحانه وتعالى-، فمن كان عدوًّا لله -سبحانه- فهو من أتباع الشيطان، ولزيادة القوّة الإنجازيّة لهذه الفعل بدأ المتكلّم كلامه بنداء مُحبّب لإظهار المحبة والمودّة، وتأكيد الإخلاص في النصح، واختيار وصف الرحمن على الرغم من أنّ السياق يتحدث عن العذاب، يوضح أنّ الأصل هو الرحمة التي وسعت كلّ شيء أمّا العذاب فهو نتيجة طبيعية للأعمال السيئة، فالعبد هو الذي يحرم نفسه من تلك الرحمة الواسعة، وليس الله -جلّ شأنه- يُريد له العذاب[51]

ومن الأفعال التعبيريّة الأخرى ما جاء في خطاب الابن الكافر في قوله – تعالى- : ﴿ **وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَكُمَا أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي وَهُمَا**

يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ وَيْلَكَ آمِنْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾[الأحقاف:17]، استخدم الابن فعلاً تعبيريًّا في قوله: (أفٍّ لكما) الغرض منه الإفصاح عن مشاعر الغضب والرفض والضجر من الوالدين، واستعمل المتكلّم حرف اللام مع كاف الخطاب ليؤكّد أنّ الضجر موجّه للوالدين فقط، هذا الفعل فيه تعدي على منزلة الأبوين وإساءة لهما، وتزداد هذه الإساءة سوءًا؛ لأنها جاءت ردًا على نصح الأبوين ودعوتهما للإيمان والنجاة من غضب الله -سبحانه وتعالى- وعذابه، وهذا يختلف تمامًا عن قوله -تعالى- : ﴿ **وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾** [لقمان: من الآية 15].

إنّ الفعل التعبيريّ الذي استعمله الابن هو فعل جيد إذا كان مخلصًا، فهو يشعر حقًّا بالانزعاج والضيق من الأبوين؛ أي أن كلمة (أفّ لكما) يُطابق الحال الشعوريّة للمتكلّم تجاه المخاطبَين، ولكنّ هذا الفعل سيءّ من ناحية التواصل؛ لأنّه لم يُراعِ حال المخاطب ومقامه، ولأنّه إساءة في مقابل إحسان.

ومن الأفعال التعبيريّة الأخرى ما جاء في كلام امرأة فرعون في قوله تعالى: ﴿**وَقَالَتِ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ قُرَّةُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾** [القصص:9]. فقولها: (**قُـرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ**) فعل تعبيريّ عكس حالها النفسيّة والعاطفيّة، ومن خلال السياق يتضح أنّ هذه المرأة لم تُرزق بذريّة، أو لم تُرزق بمولود ذكر؛ لذلك هي ترغب في الاحتفاظ بهذا الطفل للاستفادة منه أو للتبنّي، وقد زاد تعلّقها به لما رأت فيه من علامات الخير ودلائل النفع فاستحسنته وأحبّته(52) ، فلهفة المرأة على مولودها ثمّ رؤية طفل بهذه الصفات أسعدها جدًا وجعلها في غاية الفرح والانشراح فأفصحت عن سعادتها بهذا الفعل التعبيري، و(القرّ) هو البرّدُ، و(قُرّة العين) هي الدمعة الباردة التي تنزل من العين، وهو تعبير يُكنّى به عن الفرح السرور، وهو ضدّ (سخنة العين) التي تعني الدمعة الحارّة التي تنزل عند الغمّ، وهي كناية عن الحزن، فقولنا: (أقرَّ اللهُ عينَكَ) هو دعاء للمخاطب، وقولنا: (أسخنَ اللهُ عينَكَ) دعاء عليه(53) ، ويقع هذا الفعل ضمن الانفعالات الإيجابيّة؛ لأنّه ممّا يُستحسن ويُرتجى لذلك فهو مقدّمة جيدّة للفعل التوجيهيّ الذي بعده في قولها: (لا تَقْتُلُوهُ).

فالأفعال التعبيرية تُظهر أن المشاعر تلعب دورًا كبيرًا في التواصل بين الأفراد سواء كانت إيجابية أو سلبية.

الخاتمة :

ـ يتناول هذا البحث الأفعال الكلامية والحوارات الأسرية في القرآن الكريم من منظور تداولي، موضحًا أن القرآن الكريم يقدم أساليب متنوعة للتواصل بين الله والناس، ويجمع بين الوظيفة التعليمية والتوجيهية والعاطفية.

ـ تظهر الأفعال الكلامية في القرآن الكريم تنوعًا في الوظائف التواصلية، مما يعكس عمقًا في التخاطب الإلهي مع البشر.

ـ يستند النص القرآني إلى نظرية الأفعال الكلامية التي تسلط الضوء على وظائف الكلمات في السياقات المختلفة.

ـ تصنف الأفعال الكلامية إلى فئات، منها الأفعال التقديرية، والتوجيهية، والالتزامية، والتعبيرية.

ـ الأفعال الكلامية في الحوارات الأسرية أفادت دلالات مختلفة: الأفعال الإخبارية تفيد إيصال معلومة جديدة للمخاطب، أو التعريض، أو طلب العطف، أو إعطاء سبب، أو التلطف، أو إزالة شك المخاطب، أما الأفعال التوجيهية فتستخدم لإعطاء أمر، أو نصيحة، أو طلب، أو تحريض، أو إعطاء خيارات، أو إنكار، أو إظهار التعجب. الأفعال الألتزامية، مثل الوعد والتهديد، تستخدم في قسمين رئيسيين، أغلب الأفعال التعبيرية تستخدم للتعبير عن المشاعر السلبية، مثل الحزن، والأسف، والصبر، والخوف، والتضجر، أما المشاعر الإيجابية، فقد ظهرت في تعبير (قرة العين) الذي استخدمته امرأة فرعون، والذي يدل على الفرح والسعادة.

ـ تتضمن الحوارات الأسرية في القرآن نماذج متعددة من الأفعال، حيث تعكس مشاعر وتعاملات الآباء والأبناء، وكذلك تبرز أنماط التفاعل بين الأفراد، إذ يظهر النص كيفية القيام بتعزيز الصدق والإخلاص في النيات من خلال الأداء اللغوي والبلاغي لهذه الأفعال، ما يعكس القيم الثقافية والدينية للأسر.

ـ يستعرض النص القرآني أمثلة من الحوارات بين شخصيات قرآنية مثل: يوسف ويعقوب وموسى وهارون، وما بين الإخوة في سياق سرد الأحداث موضحًا كيف عرضت هذه الحوارات مشاعر الحزن، والأمل والنصح والتي تعكس التفاعل الإنساني العميق.

الهوامـــــــــش:

القرآن الكريم برواية قالون عن نافع.

(1) يُنظر: مفتاح العلوم، لأبي يعقوب يوسف بن أبي بكر السكاكي، تـح: أكـرم عثمـان يوسـف، دار الرسالة، بغداد، ط/1، (1982)م. : 353.

(2) عدّ بعض الباحثين النداء فعلًا كلاميًّا توجيهيًّا يعمل على تحفيز المتلقّي، وجعلـوه الفعـل الكلامـيّ الأوّل للمتكلّم، وهو مدخل لأفعال كلاميّة تُشكّل الهدف المقصود، وذهب محمود أحمـد نحلـة إلـى أنّـه ليس فعلًا كلاميًّا؛ لأنّه لا يُعبّر عن قضيّة،= =والباحث مع الرأي الثاني، فيكون النداء مدخلًا للأفعال الكلاميّة دون تصنيفه مع التوجيهيّات لخلوّه من فعل قضويّ هادف، ولاحتياجه لما بعده فـي الغالـب، يُنظر: الأفعال الكلاميّة في القرآن الكريم (سورة البقـرة)– دراسـة تداوليّـة، لمحمـد مـدور، أطروحـة دكتوراه، جامعة الحاج لخضر، كلية الآداب واللغات، (2014)م. : 177.

(3) يُنظر: مفتاح العلوم: 354.

(4) يُنظر: البرهان في علوم القرآن، لبدر الدين محمّد بن عبد الله الزركشّي، تح: محمّد أبـو الفضـل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، (د.ت).: 2/ 317-326.

(5) التعريض هو: الدلالة على المعنى من طريـق المفهوم، وسُـمّي تعريضًـا لأن المعنـى باعتبـاره يُفهم من عُرْض اللفظ، البرهان في علوم القرآن: 2/ 311.

(6) دلائل الإعجاز، لأبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني، تعليق: محمـود محمـد شـاكر، مطبعة المدني، القاهرة، ط/3، (1992)م.: 328.

(7) يُنظر: التـداوليّات علـم اسـتعمال اللغـة، تقـديم: حـافظ اسـماعيلي علـوي، عـالم الكتـب الحـديث، الأردن، ط/1، (2011)م.323.

(8) التحرير والتنوير: 12/ 222 – 223.

(9) يُنظر: النص والخطاب والاتصال، لمحمد العبد، الأكاديميّة الحديثة للكتـاب الجـامعي، القـاهرة، ط/1 (2005)م.: 302، و304.

(10) يُنظر: الكشّاف: 505.

(11) يُنظر: سورة يوسف دراسة تحليليّة: 291.

(12) الكشّاف: 505، ويُنظر: مفردات ألفاظ القرآن: 568، مادّة (عصب).

(13) يُنظر: التحرير والتنوير: 12/ 222.

(14) يُنظر: النصّ والخطاب والاتّصال: 311- 313.

(15) التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، إعداد نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن، جامعة الشارقة، ط/1، (2010)م.: 4/ 585.

(16) يُنظر: شرح المفصل للزمخشري، لأبي البقاء يعيش بن علي بن يعيش الموصلي، تقديم: أميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/1، (2001) م.: 4/ 376-377.

(17) يُنظر: الكشاف: 512، والتحرير والتنوير: 12/ 258.

(18) مغني اللبيب: 233.

(19) يُنظر: إستراتيجيات الخطـاب– مقاربـة لغويّـة تداوليّـة، لعبـد الهـادي بـن ظـافر الشـهريّ، دار الكتاب الجديد المتّحدة، بيروت، ط/1، (2004)م. 324- 325.

(20) يُنظر: التداوليّة عند العلمـاء العـرب – دراسـة تداوليـة لظـاهرة الأفعـال الكلاميّـة فـي التـراث اللساني العربي، مسعود صحراوي، دار الطليعة، بيروت، ط/1، (2005)م.: 186.

(21) يُنظر: مقاييس اللغة، لأبي الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، رتبه وصححه: إبراهيم شمس الدين الأعلمي، بيروت، ط/1، (2012)م.: 718، مادّة (قصّ).
(22) يُنظر: الكشّاف: 637، والبحر المحيط، لأبي حيّان الأندلسي، تح: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد عوض، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط/3، (2010)م.: 6/ 182.
(23) يُنظر: الحجاج في خطابات النبي إبراهيم - عليه السلام - ، سعديّة لكحل، رسالة ماجستير، جامعة مولود معمري، كلية الآداب واللغات..:54.
(24) التحرير والتنوير: 116/16 .
(25) مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهاني، تح: صفوان عدنان داوودي، ذوي القربى، ط/4، (1425هـ). : 347 مادّة (رحم).
(26) يُنظر: التحرير والتنوير: 16/ 117.
(27) السابق: 16/ 118.
(28) إستراتيجيّات الخطاب: 447.
(29) يُنظر: مفردات ألفاظ القرآن/ 609، مادّة (غفر).
(30) الصحاح- تاج اللغة وصحاح العربية، لإسماعيل بن حماد الجوهري، تح: أحمد عبد الغفور عطّار، دار العلم للملايين، بيروت، ط/2، (1979)م. : 3/ 1070، مادّة (حرض).
(31) يُنظر: الكشّاف: 506.
(32) يُنظر: الكشّاف: 1013.
(33) يُنظر: السابق: 1013.
(34) التداوليّة أصولها واتّجاهاتها، جواد ختّام، دار كنوز المعرفة، عمان، ط/1، (2016)م.: 106.
(35) يُنظر: التداوليّات علم استعمال اللغة: 335.
(36) إستراتيجيّات الخطاب: 325.
(37) يُنظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، لجمال الدين ابن هشام الأنصاري، تح: مازن المبارك، ومحمد علي حمد الله، دار الفكر، بيروت، (2010)م. : 140.
(38) يُنظر: مفردات ألفاظ القرآن: 808، مادّة (نصح).
(39) يُنظر: الكشّاف: 530، والتحرير والتنوير: 13/ 54.
(40) يُنظر: الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويّين البصريّين والكوفيّين، لأبي البركات عبد الرحمن بن الأنباري، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الطلائع، القاهرة، (2009)م.: 2/ 180- 181، ومغني اللبيب: 139- 140.
(41) مقاييس اللغة: 137، مادّة (ثرب).
(42) يُنظر: مفردات ألفاظ القرآن: 246، مادّة (حفي).
(43) التبيان في تفسير القرآن، لأبي جعفر بن الحسن الطوسي، تح: أحمد حبيب قصير العاملي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د. ت).: 6/ 107.
(44) مفردات ألفاظ القرآن: 303، مادّة (خوف).
(45) يُنظر: التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر ابن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، (1984)م.: 12/ 231.
(46) يُنظر: سورة يوسف – دراسة تحليلية، أحمد نوفل، دار الفرقان، عمان، ط/1، (1989)م.: 309.

(47) يُنظر: معاني القرآن، لأبي زكريّا يحيى الفراء، تعليق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/1، (2002)م. : 1/ 363، والتحرير والتنوير: 12/ 239.
(48) يُنظر: مجاز القرآن، لأبي عبيدة معمر بن المثنى التيمي، تعليق: محمّد فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي، القاهرة، (د.ت). 1/ 316، والتحرير والتنوير: 13/ 42.
(49) الكشّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لأبي القاسم جار الله محمود ابن الزمخشري، اخراج وتعليق: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، ط/3، (2009)م.: 527.
(50) يُنظر: السابق: 527.
(51) يُنظر: التحرير والتنوير: 16/ 117- 118.
(52) يُنظر: الكشّاف: 795، والجامع لأحكام القرآن والمبيّن لما تضمّنه من السنّة وآي الفرقان، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، تح: عبد الله عبد المحسن التركي، مؤسّسة الرسالة، بيروت، ط/1، (2006)م.: 16/ 237.
(53) يُنظر: مقاييس اللغة : 717مادّة (قرّ).